الدراما الإذاعية ويوسف عز الدين عيسى

بداية الدراما الإذاعية فى مصر

لم يكن هناك ما يسمى بالدراما الإذاعية فى مصر ولا الشرق الأوسط بالمعني المفهوم اليوم، إلا بعد الدكتور يوسف عز الدين عيسى.

لقد أُنشئت الإذاعة فى مصر عام 1934، و كانت آنذاك أول إذاعة فى الشرق الأوسط، حيث كانت مصر فى هذا العهد دوله مستنيرة و متقدمة في مجال العلوم و الفنون و الثقافة، فكانت بها جامعة علي أعلي مستوى كما كانت بها صناعة سينيما تضاهي السينيما العالمية؛ كان المناخ الثقافي مُتفتحا و مستعدا لمزيد من التقدم. و من الطريف أن جهاز "الراديو " كان في بعض الدول الأخرى من المنطقة، مرفوضا و ممنوعا كالمحرمات، باعتباره جمادا يتحدث، فكان يُنظر إليه كما كان يُنظر الى عباده الأوثان في العهود القديمة. كانت مصر في ذاك الوقت تحت الإحتلال البريطانى وكانت الإذاعة تحت الإدارة البريطانية، وكان يتم اختيار المذيعين بعناية فائقة من صفوه العقول المصرية. كان برامج الإذاعة بطبيعة الحال تحتوي علي الأغانى والموسيقى والأخبار وبعض المحاولات لعدد متواضع من "الهواه" فى مجال الدراما الإذاعية. وكان المسؤلون عن الإذاعة دائما فى بحث مستمر عن كُتّاب علي مستوي ممتميز حتي تقوم قائمه للدراما الإذاعية المصرية. ولكن كان معظم الكُتّاب المصريين يتهربون من الكتابة لهذا المجال مفضلين عليه أنواع الكتابة التقليدية المنشورة وذلك حتى لا يجازفون بكتابتهم في هذه "اللعبة" الحديثة المُسماة ب"الراديو"؛ و لم تكن لديهم البصيرة الكافية لإدراك أيه علاقة بين التكنولوجيا الحديثة وكِتابة الأدب القصصى و الروائى.

دور د. يوسف عز الدين عيسى في الدراما الإذاعية

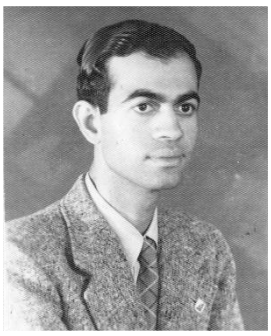

لقد بدأت الدراما الإذاعية الجادة مع يوسف عز الدين عيسى عندما أذيعت مسرحيته، "عجله الأيام" عام 1940. و لم تكن الدراما في شكل مسلسل بل كانت سهرة مسرحية. و يعتبر عيسى الرائد في هذا المجال و من أوائل الكتاب الذين قاموا بدور أدبي في ربط الأدب بالتقدم التكنولوجي و العصر الحديث. و كان الخوض في هذا المجال يحتاج لجرأة فى اقتحام المفاهيم التقليدية القديمة، ويحتاج أيضا الي عقلية مرنة تتفهم العلاقة بين الاختراعات العلمية المعاصرة والفكر الأدبي. لقد أعطى

يوسف عز الدين عيسى عصارة فكره للإذاعة التي أثراها بنحو أربعمائة عمل والتى إعتبرها النقاد من روائع الأعمال الأدبية، و من بين أقوالهم نعرض بعض المفتطفات:

".. أعمال دكتور يوسف عز الدين عيسى تمثيليات هزت ميكروفونات الإذاعة.." عبد الفتاح البارودى جريده الأخبار ، 1976/1/9 .

" أعمال الدكتور يوسف عز الدين عيسى لها صبغه خاصه و لحواره إيقاع درامى ينم عن ثقافه عاليه في الأدب وفي الحياة.." خيرى شلبى ، مجله الإذاعه والتليفزيون، 1976/1/17 .

"كانت الشوارع تخلو من الناس من الساعه الخامسة والربع حتى الخامسة والنصف أثناء أذاعة أعمال دكتور يوسف عز الدين عيسى. كان الجمهور يعشق أعماله ويبقى فى المنزل ليستمع إلها." الفنان كمال الشناوى 2001/11/14 ، فى احتفاليه لتكريم يوسف عز الدين .

" يوسف عز الدين عيسى هو الأستاذ الحقيقى للفكر الإبداعى .. كان يجلس لوهلة ويأخذ بعض رشفات من "البابيب" ثم يكشف عن فكرة غاية فى الغرابة و الإبداع ! " المخرج المسرحى حسين جمعه، ندوه قصر التذوق - سيدى جابر، 2006

لقد أثَّرَت أعمال الدكتور يوسف عز الدين عيسى على العديد من الكُتاب كما شجعت كُتاب آخرين لكتابه الدراما الإذاعية وأكثر ما تأثر به الكُتاب فى أعماله هو جانب التحليل النفسى الذى تناوله بشكل يختلف عن غيره من الكتاب الذين تناولوا من قبله علي مستوى العالم كما ستكشف لنا السطور القادمة.

و من الجدير بالذكر أن د. يوسف عز الدين عيسى، تعددت مجالات إبداعاته، فبالرغم من أنه صاحب الريادة فى الدراما الإذاعية، فهو أيضا أديبا متميزا، كسر القوالب النمطية فى الرواية والقصة القصيرة والمسرح (ارجع الي "اعماله"، "سيرة ذاتية" و "ما وراء الأفكار") و أسس مدرسه جديدة للكتابة، بالإضافة الي كتاباته للمقال (أكثر من مائه مقال في كُبريات الصحف)؛ كما كان يحرص بانتظام علي حضور الأنشطة الثقافية المختلفة، ذلك الي جانب كونه أستاذا جامعياً بكلية العلوم، و كان ملتزما و لامعاً فى مجاله العلمى، و هو لم يترك هذا المجال طوال حياته، فإستمر يمارسه جنبا الي جنب عمله الأدبي، كما كان يشجع الفن والأنشطة الثقافية فى الجامعة. ولكن الأهمية ليست فقط فى كم العطاء بل في نوعيتة، فقد تميزت أعماله بأنه وصل الي آفاق و أعماق لم تكن مطروقة من قبل.

أما أعماله الإذاعية فهي الأن مُصنفة علي أنها من روائع الإذاعة وكلاسيكياتها التى لا تنسي وتذاع حتى يومنا هذا وتحظى بإعجاب شديد و كأنها كُتبت اليوم.

و لا يزال المستمع حتى الأن يرى أفكاره جديدة وغير تقليديه، وكان د. يوسف عز الدين عيسى يولى اهتماما كبيرا لفكره العمل التى كانت تتميز بالعمق و التشويق معاً، وقد كانت لأعماله تأثيرا عظيما على المستمع الذى بدأ يرى الحياة وأمورها من زاوية مختلفة تماما.

رؤية يوسف عز الدين عيسى للدراما الحديثة

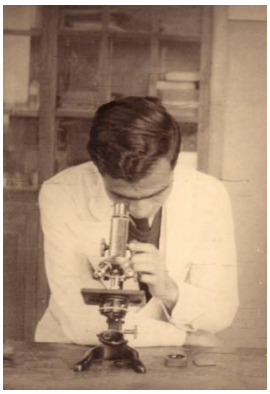

كما ورد من قبل، كان يوسف عز الدين عيسى ينظر بنظرة مستنيرة تجاه هذا الإختراع المذهل " الإذاعة " وكان يرى فيه ما كان يسميه ب "المسرح الحديث". وهناك بعض الكتاب الذين بدئوا فى كتابه الدراما الإذاعية فى أواخر الأربعينيات، ولكن كان معظم ما كتبوه إما قصصا تقليدية، رومانسية أو بوليسيه لمجرد التشويق، وكانت أحيانا هناك نصوص مقتبسة من الفلكلور الشعبي القديم أو من بعض الأعمال الأدبية. و لكن لم يكن هؤلاء الكُتاب فى أغلب الأحيان هم أصحاب فكرة العمل بل مجرد "كُتاب سيناريو" لفكره شخص أخر.

لم يكن دكتور يوسف عز الدين عيسى يرى فى هذا النوع من الكتابة ما يسميه بالمسرح الحديث. إن رؤيته للمسرح الحديث كانت تقتضى أن يُكتب النص خصيصا للإذاعة بكل تفاصيله. كان يرى أن كاتب الدراما ليس مجرد سيناريست وهو ليس أيضا مجرد المؤلف الذى يبيع قصته لمخرج ما ويطلب منه أن يجد سيناريست لكتابه العمل. إن الدراما الإذاعيه أو المسرح الحديث الذى يراه دكتور يوسف، يكون فيه المؤلف هو صاحب كل شئ، صاحب القصة والسيناريو والحوار، تماما كما كان " أرثر ميلر " أو، "برنارد شو"، أو "ساموبل بيكت"، على سبيل المثال الذين كتبوا أعمالهم خصيصا للمسرح (وقد كتب أرثر ميلر العديد من أعماله خصيصا للإذاعة). إن كاتب الدراما الإذاعية عليه أن يقوم بكتابه فكرته بالإضافة الى كل المؤثرات الصوتية التى تدور في خلفية المشهد تماما كما يكتب الكاتب المسرحى مسرحيته خصيصا للمسرح فهو يكتب كل المؤثرات البصرية التى توجد في المشاهد، و يكاد يكون يوسف عز الدين عيسى الوحيد فى مصر والشرق الأوسط الذى كان يهتم بكتابة كل التفاصيل الدقيقة بكل خلفياتها فى أعماله الإذاعية.

روح العمل

كان الدكتور يوسف دائما جزأ من فريق العمل . كان يحضر كل "بروفة" حتى بعد انتقاله إلى الإسكندرية، فكان يسافر الي القاهرة خصيصا لهذا الغرض وكان يكتب كل كلمه فى

السيناريو حتى الموسيقى الخلفية للحوار، كان يختارها بنفسه وكان يكتب على سبيل المثال " أصوات تعلو، أصوات تخفت .. ألخ"، وكان يستخدم كلمه "موسيقى" كما يستخدم الكاتب المسرحى كلمه "ستار".

ولم يكن هناك موسيقيون متخصصون للعمل الإذاعي فى ذاك الوقت فكان يوسف عز الدين عيسى يختار الموسيقى الخلفية أو الموسيقى المستخدمة كفاصل بين المشاهد من الموسيقى الكلاسيكيه؛ كان يختار لحنا معينا ومقتطفات خاصة من هذا اللحن التى كان يراها تتماشى مع المعاني الموجودة فى المشهد، و أحيانا كان أثناء الحوار تدور أغنية ما لمدة ثوان، كان يحرص يوسف عز الدين علي اختيار كوبليه معين من الأغنية ينتهى عند كلمة معينة لأنها تخدم العمل و تزيد الموقف جمالاً. و قد علق بالثناء الكثيرين علي تناسق الموسيقي مع المشاهد و معظمهم لا يعلمون أن ذلك كان جزءا من عمل د. يوسف عز الدين عيسي.

و مما عُرِف عن د. يوسف عز الدين عيسى أنه كان يخلق جوا مرحا في العمل، تحلوا فيه روح الفريق، فكان يشجع الممثلين بالتحدث معهم عن القصة وعن أهميه أدوارهم ويوضح كيف يكون دور كل ممثل فى غاية الأهمية للعمل ككل. وكان أحيانا يمثل بعض الأدوار أمام الممثلين ليوضح لهم كيف ينبغى النطق بنبره معينه. كان فريق العمل يستمتع بهذه اللحظات وكان حضوره أثناء البروفة يولد الطاقه الإيجابية و يطفي المرح و يشعل الدفء في الممثلين و يعمق روح الفريق، و كان من الطبيعى أن ينعكس ذلك علي طاقم العمل، فكانوا بدورهم يبدعون فى المشاهد التى يؤدونها ، و فى حديث تليفزيونى عام 1999 قالت الممثلة كريمه مختار عن دورها في مسلسل "العسل المر " للدكتور يوسف عز الدين عيسى، فى 1958 :

" كان يقدم لنا محاضرات عن العمل حتى نستطيع أن نعيش الأدوار التى كنا نؤديها .. كنا محظوظين بوجوده .." برنامج تليفزيونى " الصالون الثقافي " القناه الثالثه، 1-11- 1999

استمر الدكتور يوسف عز الدين عيسى يكتب الدراما الإذاعيه حتى منتصف السبعينات هذا بجانب استمراره فى عمله بالجامعة كأستاذ بقسم الحيوان كما كان فى نفس الوقت يكتب القصة القصيرة والمسرحية والرواية والمقال، بعضها فى أعمدة اسبوعيه بجريده الأهرام، كانت لديه طاقه هائلة وكانت من الأشياء التى تسائل عنها الكثيرون *"كيف كان يجد وقتا لكل هذه الأشياء و يؤديها علي أعلى مستوياتها؟!"* فى الواقع لقد أعطى الدكتور يوسف كل وقته المفترض الراحة فيه للكتابة. لم يكن ينام ليلا لقد كان يعتبر النوم مضيعه للوقت. وبقدر ما أعطى وأحب عمله فى الكتابة فقد كان أيضا سخيا فى التزاماته وعطائه كأستاذ جامعى يعمل بكل حب وإخلاص.

البدايه

دخل الدكتور يوسف عز الدين عيسى مجال الكتابة للإذاعه مصادفه (انظر السيره الذاتيه). فقد كان فى فتره الثلاثينات طالبا بكلية العلوم جامعه القاهره وكان يشارك تقريبا فى كل النشاطات الثقافية فى الجامعة، فكان يكتب الشعر والمسرحية والقصة القصيرة لمجرد حبه للكتابه ولم يكن يخطر بباله فكرة أن يكون مؤلفا مشهوراً، كما كان يشارك فى التمثيل على مسرح الجامعة وكان أحياناً يقوم بإخراج بعض المسرحيات كما كان يحب العزف على الكمان ويؤلف ألحانه الخاصة التى كان أحيانا يعزفها فى معمل كلية العلوم. وكانت كتاباته تلاقى إعجاباً من قِبَل زملائه وأساتذته وكانت مسرحياته التى يكتبها تؤدى على مسرح جامعة القاهرة وتنشر فى مجله الكلية مع قصة القصيرة وأشعاره وأحياناً بعض "النكات" التى كان يجيد صياغتها.

وقد اكتشفه الأستاذ "محمد فتحى" كبير مذيعى الإذاعة المصرية في ذاك الوقت، فقد قرأ مصادفتاً مسرحيه ليوسف عز الدين عيسي بعنوان "عَجَلَة الأيام" التى كان قد كتبها لمسرح الجامعة عام 1935 وقد تم نشرها عام 1940 في مجلة الكلية. و قد أعجب الأستاذ محمد فتحى بموضوع المسرحية و عمق فكرتها الذى تناولها يوسف عز الدين بطريقه شيقة وجعل منها مسرحيه كوميديه قصيرة ولكنها مليئة بمعانٍ فلسفيه رفيعة، فطلب مقابلة يوسف عز الدين ليؤذن لة بإذاعة "عَجَلِة الأيام" للإذاعة. وقد أذيعت المسرحية فى الإذاعه المصرية عام 1940 بنفس الطريقة التى كُتبت بها فى مجله الكلية. أذيعت باللغة العامية و كان ليوسف عز الدين عيسى اسلوبا خاصا في الكتابة بالعامية، فقد وصفها البعض بالعامية الراقية و كأنها لغة فريدة.

ومن الجدير بالذكر أن فى هذا الوقت،1940، لم يكن هناك ممثلون محترفون للدراما الإذاعية وكان يتم إختيار الممثلين من دار الأوبرا وكان أحياناً ينضم إلى فريق التمثيل بعض مذيعى الإذاعة الذين كانوا يحبون التمثيل كما كان أيضاً يشترك فى التمثيل بعض الهواه من أساتذة قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعه القاهرة، مثل الأستاذ حافظ عبد الوهاب والأستاذ عبد الحميد يونس والأستاذة صفيه المهندس. وكان الأستاذ محمد فتحى، وهو أيضاً من خريجى قسم اللغة الإنجليزية، يتولى عمليه الإخراج وأحياناً يشارك فى التمثيل لو إقتضي الأمر. كان فريق العمل فى

الدراما الإذاعية عبارة عن مجموعة من الأشخاص من أماكن مختلفة يربطهم شيئاً واحداً وهو إيمانهم الشديد بالدراما ومتحمسون لفكره عرضها من خلال هذا الإختراع الجديد المسمى ب"الراديو" أو الإذاعة.

كانت تجربة "عَجَلِة الأيام" الأولي من نوعها كعمل مسرحي مذاع كما كتبه المؤلف للمسرح, ناجحة نجاحاً كبيراً. وقد كانت فكرة المسرحية غير تقليديه و رمزيه إلى جانب كونها شيقة للغاية و قد أثرت هذه الفكرة على ُكتاب آخرين.

وأنه من الجدير بالذكر أن فى ذلك الوقت لم يكن يوسف عز الدين قد استمع لأية دراما إذاعيه فكانت الدراما الإذاعية جديدة عليه بنفس الطريقة التى كانت بها جديدة على الجمهور، فهو لم يكن يقلد أحداً ولم يكن حتى يعلم أي شئ عن طريقة الكتابة اللإذاعة، كانت موهبته تلقائية وكانت لديه قدره مدهشه على التخيل والإبداع .

وبما هو أيضاً جدير بالذكر أنه كان يرفض كتابة أى عمل لا يشعر فيه أنه يأتى بجديد. كان الدافع الوحيد للكتابة بالنسبة له أن تكون الفكرة جديدة تماماً وقد كان الأستاذ محمد فتحى يرى أن لدى يوسف عز الدين عيسى القدرة على صياغة فكره من العدم وموهبة فائقة في الخيال. وقد قال عنه الأستاذ محمد فتحى**:**

"أعمال الدكتور يوسف عز الدين عيسي ذات مستوى رفيع غير عادى، و تتسم بروعة الخيال وبجمال التكوين، و أنه لا نظير لها في كل ما تقدم الإذاعة، و في أعماله الدرامية لونا جديدا من الأدب يتسم بأصالة الفكرة و ارتفاع المستوى و لقد تحولت الدراما الإذاعية على يده إلى أدب رفيع".

مجلة الراديو المصرى، 1945 ، و وردت علي لسان الأستاذ عبد المعطي حجازي ، في برنامج *"مع الأدباء*، البرنامج الثاني 1983/4/16

وقد استمر الأستاذ محمد فتحى فى الإلحاح على يوسف عز الدين لكتابة المزيد من الأعمال الإذاعية مشجعاً إياه تشجيعاً كبيراً وكان يوسف عز الدين الذى كان لايزال صغير السن فى هذا الوقت يسعد بهذا التشجيع و لذلك فقد أعطى بالفعل جزءاً كبيراً من طاقته ورؤيته كمفكر فى هذه الأعمال الإذاعية وكان يشعر بسعادة كبيرة وهو يكتبها رغم صعوبة إيجاد وقت لذلك، فهو كان فى نفس الوقت معيداً فى كلية العلوم وباحثاً يستعد لرسالة الماجيستير ثم تدرج فى وظائف هيئة التدريس . كانت حياته مزيجاً من العلم والأدب .

كان أجره على الكتابة ضئيلاً جداً فالإذاعة كانت لا تزال فى عهدها الأول وكان معظم العاملين بها يعملون حباً منهم فى

العمل. كان يوسف عز الدين فى واقع الأمر يصرف على الكتابة أكثر مما يجنى منها فحينما انتقل إلى الاسكندرية (مختارا) فيما بعد عام 1942 كان يسافر إلى القاهرة لحضور البروفات على حسابه الخاص وذلك لحبه فى العمل لهذا المجال وكان يقول : " إن الكتابة للإذاعة أصعب بكثير من أى نوع آخر من الكتابات، فقد كتبت القصة القصيرة و الرواية و المسرحية .. أما الكتابة للإذاعة فهي أكثر أنواع الكتابة التى تمثل تحديا كبيراً، فهى تحتاج إلى الخيال، و على الكاتب أن يتصور أن الجمهور لا يرى ولا يقرأ، و هو معتمد إعتماد تام على الحوار ليتابع الأحداث و لذلك يقوم الحوار بعملية الوصف للأماكن و الشخصيات و المشاعر بشكل غير مباشر . . إن الكتابة للإذاعة تشكل أكبر تحدياً للمؤلف .. " د. يوسف عز الدين عيسي، من برنامج "دعوه على السحور" 1985 البرنامج العام .

كان فى الواقع يوسف عز الدين يحدث تغييراً كبيراً فى مفهوم الأدب رغم أنه لم يكن على درايه بذلك. إنه كان يجعل من الدراما الإذاعية نوعاً جديداً من الأدب وله نفس الدور الذى يقوم به الِكتاب والمسرح ، لقد تأسس على يديه شكلاً جديداً من أشكال الكتابه: كتابة تدخل بيوت الناس عن طريق الراديو، بأفكاره ورؤيته العميقة محدثاً بذلك تغيراً كبيراً فى المفاهيم لدى الجمهور من الرجل البسيط إلي صفوة المثقفين، كان يغير الفكر النمطى برفعة شأن الدراما الإذاعية عندما وضع موهبته فى هذا المجال .
" إن الدراما الإذاعية مثل المرآه إنها تظهر إما الجمال أو القبح وهى لا تختلف عن الكتب فى ذلك فالكتاب قد يحتوى على الردئ أو القيم.." (نفس المرجع السابق)

ولقد رأى المسؤلون فى الإذاعة فى ذاك الوقت فى يوسف عز الدين عيسي بأفكاره الأصيلة وشمولة موضوعاته فرصة ملائمة لتأسيس جمهوراً مثقفاً للدراما الإذاعية. وقد حاول القائمون على الإذاعة أن يصرفوا يوسف عز الدين عن الإتجاة لكتابة الأدب المقروء ، فقد كانوا يحتاجون لمثله من الكُتاب للإنطلاق بالدراما الإذاعية ولذلك كانوا يستمرون فى الإلحاح عليه حتى بعد أن انتقل إلى الإسكندرية. ومن ناحية أخرى كان يوسف عز الدين مؤمناً بالكتابة لهذا المجال وقد كان رأيه أنها أصلح وسيلة لعرض العمل المسرحى وهى أفضل حتى من المسرح وكان يقول: "إن العصر الحديث قد إخترع الراديو وهو اختراع مذهل وهو أفضل وسيله لعرض الأعمال الإبداعية على الجمهور . إنه حتى أفضل من المسرح لأن المسرحية قد تفشل أو تنجح لأسباب ليس لها علاقة بالمضمون الدرامى فقد تنجح مسرحيه مثلاً لجمال أو شهرة البطلة حسب رؤية وذوق المتفرج أما فى الدراما الإذاعية فإن البطل الوحيد للعمل هو النص و لا شئ آخر. إن المستمع يتخيل مسرحه الخاص به بكل مشاهده وشخصياته وبناء على ذوقه الخاص . إن الدراما الإذاعيه تستمد نجاحها

من المضمون و لاشئ آخر " (نفس المرجع السابق)

وكما ذكرنا من قبل فلم يكن الكُتاب فى ذاك الوقت يميلون إلى الكتابة للراديو فكانوا يعتقدون أنهم يكتبون عملاً لن يعيش إلا خلال فترة عرضه أو إذاعته وكانوا يرون أن ذلك لا يستحق العناء. ولكنهم فى حقيقة الأمر كانوا مخطئين لأن العمل الجميل يكسر هذه القاعدة، وقد بقيت أعمال الدكتور يوسف عز الدين عيسي فى الأرشيف واعتبرتها الإذاعة من الكلاسيكيات التى لازالت تعرض حتى وقتنا الحالى ولازالت نصوصها تَدَرَس فى معهد التمثيل كنماذج لأحسن ما ينبغي أن يكون عليه النص الإذاعي.

يعتبر الدكتور يوسف عز الدين عيسى الكاتب المصري الوحيد الذى مُنح جائزة الدوله التشجيعية فى الأدب عام 1974 على أعماله الإذاعية وهى المرة الأولى والأخيرة التى يحصل فيها أديب على جائزة الدولة لأعماله الاذاعية، وقد كانت حيثيات اللجنة في منحة الجائزة.." ..لرفعة شأن الكتابة للإذاعة وتحويلها إلى نوع راقٍ من الأدب ."

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور يوسف عز الدين عيسى حصل أيضاً بعد ذلك على جائزة الدولة التقديرية فى الأدب على أعماله الأدبية من روايات و مسرحيات و قصص قصيرة عام 1986، وكانت هذه المرة الأولى التى مُنحت فيها هذه الجائزة لأديب مصرى يعيش خارج القاهرة حيث المركزية. و قد فتحت هذه الجائزة الباب بعد فتره للأديب المتميز سعيد سالم من الاسكندرية لنيل الجائزة التقديرية فى 2013.

وبقدر ما أسس دكتور يوسف نوعية ذات خصوصية فريدة للدراما الإذاعية، بدأت معه، فهى أيضاً ربما تكون انتهت معه، إنتهى معه تقريبا هذا النوع الرفيع من الأدب فيما عدا أعمال قليلة و لكن الدراما الإذاعية إستمرت، و لو عاد هذا النوع الرفيع من الأدب للإذاعة فسيكون الفضل ليوسف عز الدين عيسي كرائد لهذا الفكر. كان بالطبع لوجوده تأثيرا على كتاب آخرين جيدين كتبوا للإذاعه أعمالا جميله مثل الأستاذ طاهر أبو فاشا الذى كتب "ألف ليله وليله" في شهر رمضان لعدة سنوات، و قام بتأليفها من خياله فأصبحت حقيقتا أجمل من ألف ليلة الأصلية، و لكن تبقى ألف ليلة من أشهر أعماله التى عاشت دون غيرها. ومن الأسماء التى اشتهرت أيضاً في الثمانينات بكتابة المسلسلات الشيقة و الجيدة، الأستاذ وحيد حامد ولكنه هو وغيره من الُكتاب لم يستمروا فى الكتابة للإذاعة وقد اتجه بعضهم للكتابة للتليفزيون ثم السينما، وهم لم يُأسسوا مدرسه جديده في الأدب من خلال الراديو، وقد يرجع ذلك إلى أنهم لم يستطيعوا رؤية المسرح الحديث بالطريقة التى كان يراها يوسف عز الدين عيسى، ففى الواقع لم يستطيع أى مؤلف آخر أن يعطى للإذاعة هذا العطاء السخى الذى منحه لها يوسف عز الدين عيسى فى حوالى أربعمائة عمل معظمها وضعت تحت اسم "من روائع الإذاعه" وهى أعمال لاتنسى وهى كُتبت خصيصا للاذاعة و و كتبت فقط من أجل الاذاعة و غيرت من شأن و مستوى الدراما و حولتها الي المسرح الحديث.

و من الطريف أن نعرف ان يوسف عز الدين كان يكتب بعفويه وغالباً بسرعه شديدة. كان عندما يجلس للكتابة، يرى العمل بكل تفاصيله كاملا فى ذهنه، فكتابته على الورق أمر لم يكن يستغرق الكثير من الوقت وغالباً لم تكن هناك تصحيحات تذكر فى كتابته، كان إسلوبه يتدفق بشكل تلقائي و لكن بتوازن دقيق، فلا توجد كلمه واحده زائده ولا كلمه واحده ناقصه تماماً ككتابة النوتة الموسيقية فكل كلمه فيها جزء من المضمون. إنه من المدهش أن نتخيل ان هذه الكتابات بكل دقتها، قد كُتبت بهذه السرعة.

أمثله من الأعمال المُبَكرة ليوسف عز الدين عيسى

كانت الدراما الإذاعية فى عهدها الأول تتكون من جزء واحد غير مسلسل مثل مسرحيه "عَجَلِة الأيام" ، كانت غالباً ما تكون سهرة فى يوم الخميس أو الجمعه وكأنها تُغنى عن الذهاب إلى المسرح أو السينما. و لم تكن تسمى ب "تمثيلية، بل كان يطلق عليها "مسرحية ". إن الدراما المسلسله بدأت فقط عام 1955 مع مسلسله "عدو البشر" .

من الأعمال الإذاعيه الأولى ليوسف عز الدين عيسى فى فتره الأربعينات و التى كان أيضا قد كتبها لمجلة الكلية في الثلاثينيات، مسرحية "دنيا الحمير"، و التى أخذها الأستاذ محمد فتحي للإذاعة. و الفكرة الثورية لدنيا الحمير فى على درجه عاليه من الرمز والتخيل وبها لمحه من الخيال العلمى الذى كان يوسف عز الدين عيسى من رواده فى مصر والعالم العربى، و قد أثرت هذه القصة في الآونة الأخيرة علي ألوان مختلفة من الأدب لا العربي فقط بل و الأجنبى أيضا، وقد قال عنه الناقد الأستاذ يوسف الشارونى: *" إنه نوع جديد من الخيال وليس خيالاً علمياً بالمعنى التقليدى . هناك عنصر فلسفى فيما يكتب يجعله أقرب إلى الخيال الفلسف "* الخيال العلمي في الأدب العربي، 2002

ومن الجدير بالذكر أنه كان ولايزال ظهور الحيوانات فى الأدب كأبطال وتوظيفهم بشكل رمزى فى الكتابه العربية أمراً نادراً باستثناء "كليلة و دمنه" و التى هي من الأدب الهندي و ليس العربي. إنه من خلال الحمير فى هذه القصة ينتقد المؤلف عالم الإنسان بقسوته وكبريائه الزائف الذى يؤدى إلى انحداره، و الحمير بشكل عام هم أبطال العمل بينما يظهر الإنسان مثل "الكومبارس" وليس للعمل أي مضمون سياسى بل هو عمل أدبي فلسفي خالص.

فى نفس الفتره نشر الدكتور يوسف قصه بعنوان " فراشه تحلم " وأراد محمد فتحى أن يستعين بها للدراما الإذاعيه رغم انها كانت قد كُتبت كقصه قصيره وقد قال محمد فتحي : "ان الدكتور يوسف يحب استعمال الحوار فى قصصه حتى يكون محايداً تماماً ومن السهل أن تكون هذه القصه صالحه للدراما الإذاعيه دون أن أحتاج إلى تغيير أى شئ فيها ".

إن "فراشه تحلم" تعكس ررؤية يوسف عز الدين للسلام على الأرض . إنه ينتقد الإنسان من خلال مخلوق آخر، وهو بذلك يظهر الحياة من زاوية أخرى، أو من خلال الآخر، ويستخدم فى كتاباته الخيال الذى يحلق فيه تحليقاً كبيراً كما يستخدم الحلم والرمز. و من الجدير بالذكر أن يوسف عز الدين عيسي من الأدباء الذين عبروا تعبيرا صادقا عن الآخر و كان يعتقد أن السلام لا يتحقق إلا بفهم الآخر. ومن الطريف إن نعرف ان يوسف عز الدين أثناء كتابته لفراشة تحلم كان يكتب رسالة الماجستير التى كانت عن الفراشات، و كان فى الوقت نفسه يكتب أشعار تُغنى فى الإذاعة عن الفراشات، كان فى نفسه شعوراً بالذنب بسبب كونه الشاعر والعالم. و نتسائل أحيانا كيف يترنم بالشعر مغازلا جمال الفراشة و عندما يدخل المعمل يعمل علي تشريحها بحجة العلم و المعرفة؟ لقد كان مغرماً بالعلم والمعرفة ولكنه كان أحياناً يتسائل إن كان هذا العلم الذى ينتج عنه أسلحة الدمار لقتل الإنسان يستحق أن تقتل من أجله الفراشه الجميلة...

من أعمال الدكتور يوسف فى هذه الفتره أيضاً مسرحية "عشاق الخيال" و موضوعها خيالي، رمزى يتعدى حاجز الزمان و المكان

وقد حوَل الدكتور يوسف "عشاق الخيال" إلى قصه قصيره فى السبعينات كما غير عنوانها إلى عنوان "البحث عن حلم" ولكنه قام أيضا بتطوير بعض الأحداث في القصة، فقد جعل الواقع أكثر قسوة. إنه من خلال الفانتازيا والتحليق فى الخيال يجعل الدكتور يوسف القارئ يدرك مدى قبح العالم الذى نحيا فيه، وذلك عندما نعيش ونحن نعلم تماماً أن أحلامنا لن تتحقق أبداً. إنه من خلال قسوة الإنسان و فرط شراهته تموت الأحلام. وهنا يطرح يوسف عز الدين تساؤلا عن الواقع و مدى ما وصل له الإنسان من جبروت و تبلد ليحرم أخيه من امكانية تحقيق أبسط أحلامه.

" لماذا لم يأتى الشتاء " أيضاً من الأعمال الثرية بالخيال والرمز . إن الأبطال فى هذه القصة هم الفصول الأربعة. إنها قصه عن المحبة والرحمة على الأرض حيث تتقابل الأربع قوى الكبرى المؤثرة فى الكون في اجتماع هام من أجل طفل صغير مريض. فى القصة نرى عالماً مثالياً حيث يحدث نوعاً من التواصل الجميل بين الطبيعة والإنسان؛ الطبيعة تتعاطف مع أحزان البشر.

إن القواعد الجامدة من الممكن أن تتغير حتى تمنح البشر الرحمة مهما بلغ هؤلاء البشر من ضآلة وهي هنا ممثلة في طفل صغير و مريض. ان للقصة معان أبعد و أعمق، فنحن لا يسعنا و نحن نقرأ القصة التى كتبت في الأربعينيات عن الفصول الأربع و هم يجلسون حول مائدة المفاوضات إلا أن نذكر ما يحدث الآن علي ساحات العالم السياسية من أجل السلام.

أما فى"الزنبقة المسكينة" فالبطولة تكون لشخصية أكثر ضآلة من الطفل فى "لماذا لم يأتى الشتاء"، فالبطلة هى زنبقة صغيرة و مسكينة.

يعتبر التحليل النفسى عنصراً أساسياً في القصة وتستخدم الزنبقة كرمز لعرض فكره نراها تظهر كثيراً فى أدب يوسف عز الدين وهى فكرة المبدع أو الفنان الجميل الذى يعيش فى مجتمع لا يقدر قيمة إبداعه. لقد كتبت مسرحية الزنبقة المسكينة فى الأربعينات ولكن فكرتها تظهر فى قصته الأخيره "القاعه الكبرى" 1999 ولكنه بلا شك يتناول الفكره باسلوب مختلف تماماً.

لقد كان يوسف عز الدين عيسى يفهم بشكل تلقائى أنه بكتابة الدراما الإذاعية سيكون مخاطباً أشكالا وأنماطا ومستويات مختلفة من الجمهور ولذلك ينبغى أن تُفهم أعماله على مستويات متباينة فلكل مستوى جمهور معين، و قد يفهمها بطبيعة الحال المتلقي المستنير بكل مستوياتها .

كانت لدي يوسف عز الدين عيسى القدره على التوازن بين عمق الفكره وتشويق الإسلوب وجمال الشكل ولذلك لقد أعجب الجمهور بأعماله أياً كان مستوى الجمهور فكان يحبها الرجل البسيط بقدر ما يعجب بها صفوة المثقفين.

لقد كان لعالم يوسف عز الدين فى الكتابة صدىً كبيراً وتأثيراً على المجتمع. كان لأعماله الفضل فى أنها جعلت الناس أكثر تأملاً وحساسية، و أن أمور الحياه العاديه أصبح لها منظوراً آخر. وكان العمل الإذاعى بمثابتة مسرح يدخل البيوت فأصبحت الأفكار بعمقها و إبداعها، جزءاً من الحياه اليومية لقد استطاع بشكل غير مباشر أن يثرى المستمع بآفاق جديدة فساهم مع مفكلاى العصر في خلق مجتمعاً على درجه من الرقى، بإعطاءه لمسات فنيه للحياة، وربما هنا يكمن السبب في أن

بقيت أعماله خالده حتى الآن. ولكن فى ذلك الوقت كانت أعمال يوسف عز الدين أشهر من إسمه ففى الأربعينات و أوائل الخمسينات، كانت الناس لا تهتم كثيراً بإسم المؤلف. لقد استغرق الأمر بعض الوقت حتى بدأت الناس تدرك أن معظم ما يسمعونه من الدراما الرفيعة ترتبط بإسم يوسف عز الدين عيسى وكانوا فى غاية الإستغراب عند معرفتهم بأنه عالِم وأستاذ فى العلوم إلى جانب كتاباته الأدبية.

فى منتصف الأربعينات أصبحت الإذاعة هى َملِكة الإعلام كما أصبحت شكلاً من أشكال الكتابة المشهورة. وبدأ ممثلو السينما من كبار النجوم فى البحث عن أدوار لهم من الدراما الإذاعية كما كان قد أصبح هناك مخرجون مبدعون تخصصوا فى الإذاعة وكانوا قد أتموا دراستهم فى هذا المجال فى أوروبا .

كان أول مخرج متخصص للدراما الإذاعية يعمل مع د. يوسف عز الدين عيسى هو المخرج الكبير الأستاذ السيد بدير، وقد أخرج للدكتور يوسف مسرحية "العبقرية تبكى" والتى كانت تقوم بدور البطولة فيها الفنانة فاتن حمامه.

و يتذكر د. يوسف عز الدين عيسى مقابلته مع الفنانة فاتن حمامه أثناء تسجيل هذه المسرحية في البروفة الأولى. لقد قالت له أنها أحبت هذه المسرحية حباً كبيراً لأن الفكرة جديدة وعميقة ويقول أنه سألها عن رأيها في تحويل هذه المسرحية الإذاعية لفيلم سينمائى، وبعد برهة من التفكير قالت له "*لا أعتقد أن هذه الفكرة تصلح للسينما*" فلما سألها عن السبب قالت، *"إن الفكرة أكبر من جمهور السينما فقد لا يفهمونها وحينئذٍ ستكون أنت العبقري الذى يبكى !". ستوديو الإذاعة – القاهرة، 1946*

و يعتبر هذا الحوار الهام بمثابتة إعتراف من فاتن حمامة، التى عُرفَت بالذكاء و الحكم الصحيح علي الأمور، علي إعتقادها بأن جمهور الإذاعة أعلي و أرفع من جمهور السينما و أن يوسف عز الدين عيسي يكتب هذا النوع بشكل رفيع المستوي.

فى عام 1943 كان يوسف عز الدين قد انتقل إلى الإسكندرية وهناك التقى بالفنان التشكيلى الكبير صلاح طاهر الذى كان أيضا يعيش فى الإسكندرية فى هذا الوقت. وقد نشأت بينهم صداقه قويه وقد كانا يربطهما حب الثقافة، فكانا يتقابلان و يتحدثان لساعات طويلة عن الفن و المسرح و شتى أمور الحياة. وذات يوم طلب صلاح طاهر أن يرسم بوتريه ليوسف عز الدين عيسي. وبعد بضعه مرات كان صلاح طاهر

قد انتهى من البورتريه، وفى تلك الليلة بينما كان يوسف عز الدين فى طريقه إلى منزله راكباً الترام وجد كمسرياً يذهب ويجئ أمامه، و يكاد يقتله الفضول ليرى اللوحة، فسأله يوسف عز الدين إن كان يرغب فى رؤيتها فأجابه الكمسرى بالإيجاب. فأظهر دكتور يوسف اللوحة فإذا بالكمسرى يعلق عليها وكأنه ناقد فنى على مستوى رفيع، أخذ يتأمل جمال الرسم و قوة الألوان فسأله الدكتور يوسف "هل أنت كمسرى ترام أم فنان تشكيلى؟" فقال الرجل بحزن "يا سيدى أنا فنان ولكن حظى العثر والزمن قد حكموا على بأن أكون كمسرياً للترام" فأثرت هذه الكلمات تأثيراً عميقاً فى يوسف عز الدين عيسي وعلى الفور تكونت فى ذهنه فكرة قصه بعنوان "سيكوسيتا".

وقد كتب يوسف عز الدين "سيكوسيتا" فى عدة أشكال ؛ كقصه قصيرة، كمسرحية إذاعية، كما كُتبت للمسرح أيضا. إن "سيكوسيتا" من أكثر الأعمال الغنية بالفانتازيا الممزوجة بالحلم والرمز التى عبرت عن الواقع بسخرية فائقة و خفة ظل منقطعة النظير.

كانت "سيكوسيتا" ضمن مجموعه من الأعمال التى كتبها الدكتور يوسف والتى تعرضت للسرقة من قِبل مؤلفين آخرين وقد استطاع الدكتور يوسف بمساعدة مجموعة من الرجال المحترمين، حمايتها من هذه الهجمات الشرسة.

لقد حول يوسف عز الدين عيسي كل أعماله الإذاعية بعد ذلك لأعمال أدبية مكتوبة سواء إلي روايات و قصص قصيرة أو مسرحيات كل عمل حسب ما يناسبه لحمايتها من السرقات و كل الأعمال التى نعرضها فد تم طبعها و نشرها وحقوق الطبع و النشر محفوظة.

مختارات الإذاعة من قصائد يوسف عز الدين عيسى

فى فترة الأربعينات إختارت الإذاعة أشعار يوسف عز الدين عيسى ليغنيها كبار المطربين فى هذا الوقت، مثل أغنية "القرنفل" التى غناها عبد الحليم حافظ ولحنها على فراج، ولاتزال هذه الأغنية خالدة حتى يومنا هذا وقد قال عنها الفنان التشكيلى "مكرم حنين" الرسام بجريدة الأهرام :
"*كلمات هذه الأغنية تذهلنى فقد جعل د. يوسف عز الدين عيسى زهرة صغيره مثل القرنفل تقف شامخة وكأنها أعلى جبال العالم !!*" (برنامج "صالون"، تليفزيون القناة الثانية 13-11-2003) .

و لم تكن "القرنفل هى الأغنية الوحيدة التى أنتجتها الإذاعة ليوسف عز الدين عيسي، فقد كَتب عشرات الأغنيات الجميلة. و من هذه الأغاني التى إختارتها الإذاعة ضمن "مختاراتها"، علي سبيل المثال، "صوت الحبيب" التى لحنها و غناها جلال حرب، و "غضبان" و هى أيضا من غناء جلال حرب، و "عاشقة البدر" التى

لحنها محمود الشريف و غنتها الفنانة "لورداكاش" و "عصفورة تحب القمر" و "فراشة بين الروض هايمة" و "يا بدر يالي سَبيت العين" و "يا وردتي"، التي غُنو في مسلسل "العسل المر" بألحان في غاية من الجمال، و أيضا "عينك في عيني"، "علي شط الغدير"، "يا وردة خجلانة" و غيرهم، و كلها غناها و لحنها كبار الفنانين في ذاك الوقت. بل و قد قد طلب محمد فتحي من يوسف عز الدين عيسي كتابة أوبريت للإذاعة، و بالفعل كتب له د. يوسف أوبريت "بعد الغروب" الذى تصارع عليه كبار الملحنين، فقد أعجب به الفنان عبد الوهاب و أراد تلحينه ولكن فوجئ الدكتور يوسف بالمطرب الشهير الأستاذ عبد المطلب يطرق بابه و يرجوه بشدة أن يأذن لصديقه الموسيقار الكبير للأستاذ محمود الشريف بتلحين الأوبريت، و تبين للدكتور يوسف أن محمود الشريف في حالة نفسية سيئة بسبب هذا الموضوع، فتعاطف معه و وعده بأن يكون تلحين الأوبريت من نصيبه.

و بعد ذلك حدث أمر تأثر به الوسط الفنى و هو إعلان خطبة السيدة أم كلثوم و محمود الشريف، و أبلغ محمود الشريف د. يوسف بأن أم كلثوم قد قرأت الأوبريت و أعجبت به إعجابا شديدا و أنها سوف تقوم بغنائه. و لكن شائت الأقدار ألا يكتمل الموضوع، فقد تم فسخ الخطبة و لم يجرؤ أحد أن يغنى الأوبريت بدلا من أم كلثوم و بالطبع توقف التعامل بينها و بين محمود الشريف لفترة. و لكن محمود الشريف قام بتلحين إفتتاحية الأويريت كأغنية و غنتها الفنانة "لوردكاش" و كانت من أجمل ما لحن محمود الشريف الذى اعتبر الموضوع نوعا من المنافسة بينه و بين عبد الوهاب فأبدع في هذا العمل.

و من الخسارة الشديدة أن هذه الأغنية ضاعت مع كل ما ضاع من أغنيات في فترة الستينات، قد و حزن عليهم د. يوسف عز الدين عيسي حزنا كبيرا في صمت. و ترددت الأقوال حول سبب إختفاء هذه الاغنيات، فقيل أن الأسطوانات قد تم استخدامها للتسجيلات في عهد الثورة لأسباب إقتصادية، كما قيل أيضا أن الإسطوانات قد كُسرت و قيل أن تكسيرها كان متعمدا بناء علي طلب أحد الحاقدين و لا أحد يعلم السبب الحقيقي. و أياً كانت الأسباب فقد خسرت الإذاعة المصرية الكثير بإختفاء هذه الأغاني، فهى تعد تراثا بديعا من الأعمال المصرية التى كانت الإذاعة، في، قمتها قد إختارتها و صرفت عليها لمستواها الرفيع. و لم يبقي من الأغان المصيرية القديمة إلا ما تم تسجيله من خلال أفلام السينما و هي التى تذاع حتي الآن، أما أغنية "القرنفل" فقد بقيت علي إسطوانة خاصة لعبد الحليم، أهداها الورثة للإذاعة بعد وفاته حتي لا يموت هذا العمل الجميل.

الكتابة للأطفال

فى نفس هذا الوقت تقريباً طلب المخرج الكبير الأستاذ محمد محمود شعبان من يوسف عز الدين عيسي كتابة أعمال للأطفال، وإستجابة لطلبه فقد كتب فعلاً مجموعه كبيره من الحلقات تحت عنوان "بنوره الأميرة المسحورة" التى كانت عملاً

جديدا يحلق في دنيا الخيال، فقد كانت البطلة (بنوره) هى بطلة كل الحلقات، وكل حلقه مستقلة بذاتها، تحكى عن مغامرة من مغامرات بنوره.

إنها حكايات من الفانتازيا و في نفس الوقت تبسيط العلوم وتمنح الأطفال خلفيه غنية من المعلومات الثقافية بشكل شيق للغاية. وبهذه الحلقات يعد يوسف عز الدين عيسي المؤلف المصرى الوحيد وربما العربى أيضاً الذى لم يكن متخصصاً فى كتابة الطفل ولكنه ساهم فى هذا المجال واستطاع أن يخلق للطفل ثقافة من نوع خاص مبنية على التشويق والتسلية و العلم معاً، من خلال جهاز الراديو .

الكتابة الى البي بى سى BBC

فى عام 1948 سافر الدكتور يوسف عز الدين عيسى في بعثه دراسية لمدينة "شيفلد" بإنجلترا للحصول على شهادة الدكتوراه فى علم الحيوان - الفراشات. وقد عاش هناك لمدة ثلاث سنوات وأثناء إقامته لم يستطع التوقف عن الكتابة رغم انشغاله الشديد بالتحضير للرسالة.

وقد كتب مجموعه من القصص القصيرة والدراما الإذاعية والتى أذيعت فى إذاعة ال"بى بى سى" - البرنامج الثالث - ومن هذه الأعمال على سبيل المثال "خطاب إلى الله" و"شجرة الياسمين الصغيرة" و"فى قطرة ماء" و "هذه الدنيا" و"جمهورية الأغبياء" و "رجل الجليد"، وغيرها من الأعمال وكانت القصص القصيرة يتم قراءتها عن طريق راو، ويتم تمثيل الأجزاء الحوارية. لقد حازت أعماله بالخارج على اعجاب كبير وكانت إذاعة ال "بي بي سي" دائماً ترسل له خطاب شكر على أعماله وذلك ليعبروا عن تقديرهم الشديد بموهبته. وكانت تدفع له أجراً على هذه الكتابة.

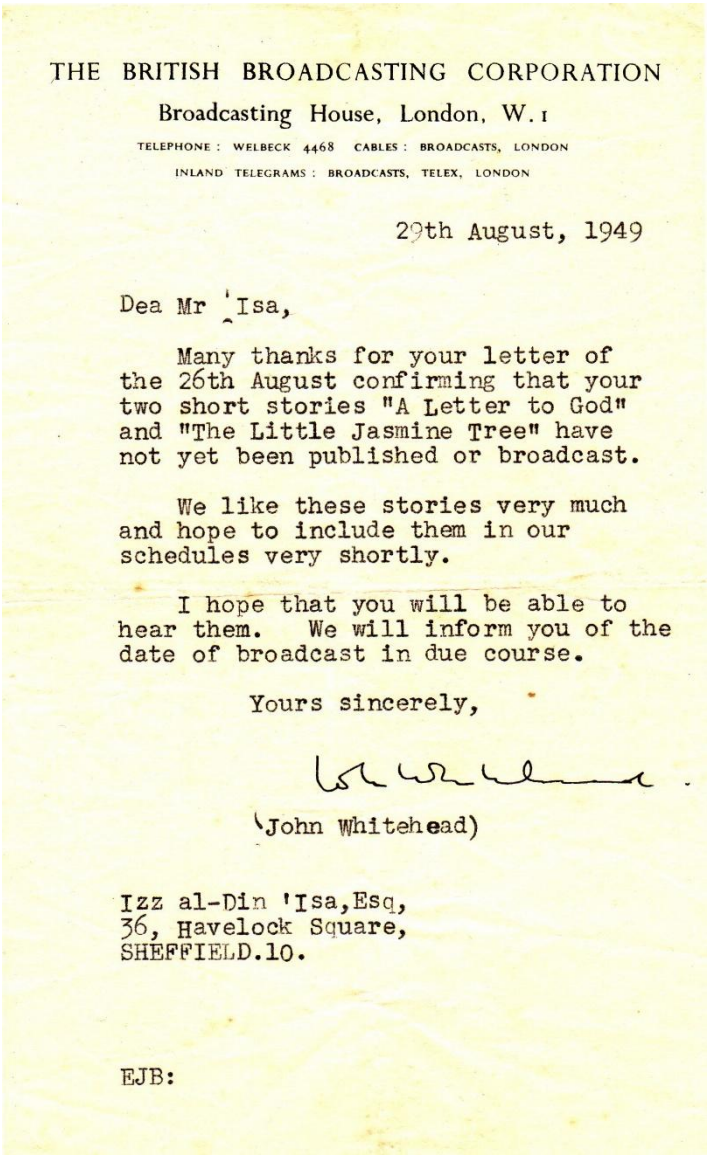

THE BRITISH BROADCASTING CORPORATION

Broadcasting House, London, W.1

TELEPHONE: WELBECK 4468 CABLES: BROADCASTS, LONDON

INLAND TELEGRAMS: BROADCASTS, TELEX, LONDON

29th August, 1949

Dea Mr 'Isa,

Many thanks for your letter of the 26th August confirming that your two short stories "A Letter to God" and "The Little Jasmine Tree" have not yet been published or broadcast.

We like these stories very much and hope to include them in our schedules very shortly.

I hope that you will be able to hear them. We will inform you of the date of broadcast in due course.

Yours sincerely,

(John Whitehead)

Izz al-Din 'Isa,Esq,
36, Havelock Square,
SHEFFIELD.10.

EJB:

العودة إلى مصر

عاد إلى مصر فى أوائل الخمسينات بعد حصوله على شهادة الدكتوراه واستمرت الإذاعة تلاحقه لكتابة المزيد من الأعمال. كانت فترة الخمسينات من أثرى سنوات الكتابة بالنسبة له، ذاع صيته في مصر و العالم العربي منذ بداية هذه الفترة، وقد كان عطاؤه سخياً للغاية وقد قدم الدراما السيكولوجية والدراما الفلسفية والتاريخية والتى كان لها تأثيراً شديداً على العديد من الكُتاب الذين ساروا على نهجه. وكان للدكتور يوسف عز الدين عيسى رغبه فى ذلك الوقت فى التوقف عن الكتابة للإذاعة والتركيز على القصص والروايات فى القالب المقروء ولكن كانت الإذاعة المصرية فى القاهرة تداوم الإتصال به كما كان يرسل له المسؤلين في البرنامج العام، كبار المخرجين لإقناعه بالإستمرار فى الكتابة لهم. وكان الدكتور يوسف شخصاً كريماً إلى أقصى درجه فكان لا يرد أحد يجيء إلى منزله خصيصاً لأي طلب ولذلك استمر فى العطاء فأغدق بموهبته وفكره على الدراما الإذاعية وتوالت أعماله الإبداعية واحدة تتلو الأخرى.

وفى فترة الأبيعينات و أوائل الخمسينات لم يكن لدي دكتور يوسف جهاز تسجيل فكان يستمع إلى أعماله ولكنه لم يستطيع أن يسجلها، فقد إشتري أول جهاز للتسجيل عام 1955 واستطاع بعدها تسجيل كل ما كتبه للإذاعة ولكن كانت أجهزة التسجيل لاتزال بدائيه فى هذا الوقت فكان عليه أن يضع الراديو إلى جوار جهاز التسجيل ويضغط على زر الميكروفون. ولم تكن بطبيعة الحال هذه التسجيلات بالوضوح الكافي الذى نسمعه الآن في الأعمال المسجلة، وكان أى صوت فى الخلفية يمكن أن يظهر فى التسجيل و لذا كان ينبغي أن يلتزم الجميع بالهدوء التام. ولكن معظم هذه التسجيلات لاتزال موجودة فى منزله فى مكتبه خاصة بهذه الأعمال ومن الممكن سماعها فى أى وقت.

وكما ذكرنا من قبل فإن الدراما الإذاعية فى الأربعينات وأوائل الخمسينات كانت عبارة عن سهره فى جزء واحد ولم تكن المسلسلات الإذاعية بصورتها الحالية معروفه فى ذاك الوقت.

الدراما فى قالب مسلسل إذاعى، بدايتها، ودور أعمال يوسف عز الدين عيسي فى تغير ثقافة المجتمع

ركن المرأة
هذا هو الطريق لكى تصبحى زوجة مثالية
الدرس هذه الليلة

كتب الدكتور يوسف عز الدين عيسى أول مسلسل إذاعى فى مصر والشرق الأوسط عام 1955 عندما طلب منه المخرج الكبير "السيد بدير" كتابة عمل يبدأ مع بداية الشهر ويستكمل يومياً فى حلقات مسلسله وينتهى مع نهاية الشهر. وكان ينبغى أن يكون العمل شيقاً للغاية ليشجع الناس على الإستماع إليه كل يوم فى وقت معين. لم يكن فى ذهن يوسف عز الدين عيسى فكره معينه فى ذلك الوقت وقال إنه سوف يحاول التفكير فى الأمر. ولكنه فى الدقيقة التى خرج فيها من مبنى الإذاعة نظر إلى السماء ورأى هلالاً و فى الحال تكونت فكرة الدراما الإذاعية الجديدة فى ذهنه وكان هذا هو المسلسل الشهير "عدو البشر".

في الصورة، يوسف عز الدين عيسى يراجع البروفا مع الممثلات

إن "عدو البشر" هو أول دراما إذاعيه فى مصر و الشرق الأوسط فى صورة مسلسل وكان تجربة جديدة تماماً و كانت هناك مخاوف بالطبع لردود فعل الجمهور، فكانت هناك تساؤلات حول إمكانية وجود الحافز لدى المستمع لإستكمال الحلقات كل يوم لمعرفة ماذا سيحدث فى اليوم التالي. والواقع ان "عدو البشر" نجح نجاحاً مذهلاً و تمكن من جذب الناس أمام جهاز الراديو مثل السحر، بشكل لم يكن متوقعا، وأصبح وقتها إسم دكتور يوسف عز الدين عيسى " *أشهر إسماً فى مجال الكتابة فى مصر والعالم العربى .. اشهر من توفيق الحكيم و نجيب محفوظ ..* " إسماعيل الشيخة، أثناء مناقشة رسالة دكتوراه عن الدراما الإذاعية والتلفزيونية عام 2004.

كان المسلسل فى 34 حلقه يذاع يومياً على البرنامج العام من الساعة الخامسة والربع حتى الخامسة والنصف. وقد قيل الكثير عن فترة إذاعته هذه الخمسة عشر دقيقه كل يوم ربما يكون أشهرها هي مقوله الأستاذ الدكتور حسين جمعه المخرج المسرحى، " *إن يوسف عز الدين عيسى متهماً بجريمة إيقاف الشارع المصرى أثناء إذاعة عدو البشر .. كانت الشوارع تخلو من المارة كما كانت تتوقف حركه المرور ، وكانت حفلة السينما من الساعة الثالثة الى السادسة تلغى بسبب عدم وجود جمهور، فكان العرض فى نفس وقت إذاعة المسلسل وكانت الناس تبقى فى المنزل للإستماع إليه ...* " محاضره النادى الأدبى الثقافى فى مدينه جده عام 1986

كانت قصة "عدو البشر" مبنية على علم النفس وهو أول عمل فى الشرق الأوسط يستخدم العلاج النفسى والتحليل فى عمل أدبى وكان اسلوب يوسف عز الدين عيسى مختلفاً فى تناوله للتحليل النفسى عن أى مؤلف عالمى آخر فقد قال الأستاذ الدكتور حلمى سلام رئيس تحرير مجلة الفجر القطرية 27-7-1975 " *... لقد لمس الدكتور يوسف عز الدين عيسى أعماق النفس البشرية بكل نوازعها بطريقه أذهلت كل هؤلاء الذين كرسوا حياتهم لدراسة علم النفس ...* " .

إن التحليل النفسى فى القصة يكشف أن الخير قد يكون كامناً داخل أى شخص مهما كانت قسوة أفعاله كما يبين أيضاً مدى تأثير لامبالاة المجتمع تجاه آلام البشر، فذلك قد يؤدى إلى تشويه الشخصية الحساسة وخلق النفوس المريضة ولكن يوسف عز الدين عيسي لم يفقد أبداً ثقته فى الخير الكامن داخل النفس البشرية، فعدو البشر عملا يدعو للسلام من خلال فهم الآخر.

و قد كان لعدو البشر تأثيرا كبيرا علي المستمع ، فبدا المجتمع علي مستوى الفرد في الانكماش من قسوته في الحكم علي الأمور كما أصبح الناس يحاولون فهم الآخر، و ينظرون نظره إنسانيه إلى بعضهم البعض. وبالإضافة إلى ذلك فكان للتحليل النفسى فى القصة دوراً فى إضفاء البريق على هذا المجال في الكتابة كما أن للدكتور يوسف عز الدين الفضل في تغير مفهوم المرض النفسى لدى الفرد العادى الذى كان يُعتبر فى ذاك الوقت ضرباً من الجنون.

وبعد "عدو البشر" إنهالت على يوسف عز الدين طلبات من الإذاعة لكتابة مسلسلات أخرى وقد كتب بالفعل عدداً من المسلسلات الجميلة التى لازالت الناس تذكرها حتى الآن و تعاد اذاعتها من وقت لآخر اذ تعتبرها الإذاعة من الأعمال الخالدة مثل "المملوك الشارد" 1956 و"عواصف" 1957 و"العسل المر" 1958 و"اليوم المفقود" 1960 والذى كان فى مائه وثمانون حلقه أي ستة أشهر، و هو بداية المسلسلات الطويلة التى لا تتقيد بشهر واحد التى نراها الآن في المسلسلات الأجنبية وهي لم تكن معروفة علي الإطلاق في ذاك الوقت. وأيضاً مسلسل "لا تلوموا الخريف" 1972.

واستمرت هذه المسلسلات تذاع فى الساعة الخامسة والربع، وحدث نفس الشئ، فقد كانت الشوارع تخلو من المارة لمده ربع ساعة فى اليوم كما كانت المقاهى تكتظ بالناس الذين كانوا يلتفون حول الراديو لسماع المسلسل، أما يوسف عز الدين عيسى فكان لا يزال يهتم بحضور كل البروفات وكان يكتب كل التفاصيل الدقيقة فى المسلسل وكان يسافر خصيصاً إلى القاهرة ليسلم النص باليد وكان غالباً ما يعطى المخرج أول عشر حلقات وكان يكتب باقى الحلقات أثناء إذاعة الحلقات الأولى. كان يكتب أثناء الليل حتى الفجر ثم يلحق بقطار الصباح الباكر ليكون فى مبنى إذاعة القاهرة ليسلم باقى الحلقات ويحضر البروفة ويقابل الممثلين . وفى نفس الوقت كان يوسف عز الدين، الأستاذ الجامعى الذى يعطى عطاءاً كبيراً فى مجاله العلمى فكان يكتب الأبحاث ويشرف عليها ويجهز المحاضرات ويلقيها بشغف شديد كما كان يشجع النشاطات الثقافية والإبداعية فى الجامعة، بل و كان يقضى بعض الوقت مع طلابه الذين كانوا يحبونه حباً كبيراً فقد كان له دوراً كبيراً فى إنعاش الحركة الثقافية فى الجامعة. وكان أيضاً يحضر كل النشاطات الثقافية فى قصور الثقافة و كان عضوا بالمجلس الأعلي للثقافة و الفنون، كما كان رئيسا لنادى القصة، كما كان له دور الريادة في إنشاء جرائد ثقافية خاصة

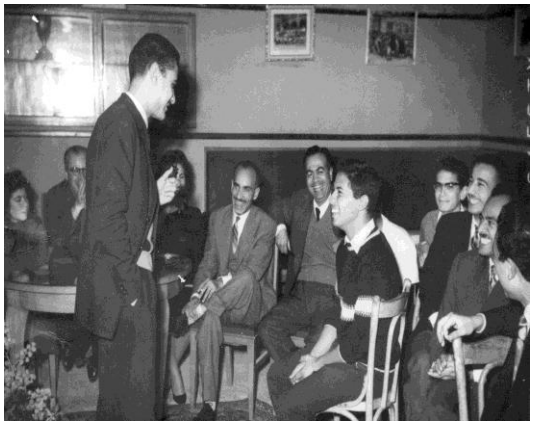

بالإسكندية تتبنى المواهب و كان يكتب فيها شخصيا ليشجع إنتشارها حتى تُعرف المواهب الجديدة كما كان يشجع الأدباء الشبان بتقديمهم إلى الجمهور. إنه من المذهل أن نتخيل كيف كان يوسف عز الدين يجد الوقت لكل هذه النشاطات والأعمال التى كان يقوم بها بحب كبير وكل هذا إلى جانب كتاباته فى الجرائد وأيضاً كتابة الرواية والمسرح والقصص القصيرة والشعر بالاضافة لعمله أستاذا متفانيا في الجامعة.

أما "المملوك الشارد" عام 1956 فهى دراما تاريخيه كان قد طلب وزير الثقافة، الأستاذ ثروت عكاشة من يوسف عز الدين عيسى كتابتها كمسلسل إذاعى والذى كانت حول موضوع المملوك الذى هرب من مذبحة القلعة أثناء حكم محمد على لمصر . وقد كتب عن هذه الواقعة مجموعه من الكتاب ربما أشهرها قصه "جورجى زيدان". وكان وزير الثقافة فى ذلك الحين معجباً بقصه جورجى زيدان وطلب من يوسف عز الدين كتابتها للاذاعة ولكن يوسف عز الدين لم يكن يرغب في كتابة نص درامى لقصة مؤلف أخر فهو لم يكن حتى يحب كتابة الأعمال التاريخية وكان يفضل ابتكار أفكار جديدة من وحى خياله الخاص. ولكن وزير الثقافة كان مصراً على رغبته فاقترح يوسف عز الدين أن يكتب قصه عن المملوك الشارد ولكنها ستكون مختلفة تماماً عن قصه جورجى زيدان فيما عدا ما يتعلق بالحقائق التاريخية أما باقى الأحداث فسيكون هو صاحب رؤية جديدة وقد أعجبت الفكرة وزير الثقافة فوافق على ذلك.

ونجحت "المملوك الشارد" نجاحاً كبيراً وكُتب عنها العديد من المقالات وقد أدى مجموعه من صفوة النجوم أدوار الشخصيات فقد لعب دور البطولة الفنان القدير عماد حمدى و الفنانة القديرة أمينة رزق، واشترك معه فى التمثيل الفنانة الكبيرة سميحه أيوب كما قام بدور الراوى الأستاذ عبد الوارث عسر وقد قام بإخراج المسلسل الأستاذ أنور المشرى.

أما "عواصف" فقد كان اسم المسلسل التالى عام 1957 وهى أيضاً تقوم على التحليل النفسى للشخصيات بشكل أوسع فكان يوسف عز الدين يقصد بها العواصف التى توجد فى طيات النفس البشرية عندما يعجز العقل الباطن على تحمل المزيد من الآلام . إن العواصف الكامنة داخل العقل البشرى تزداد حتى تصل إلى مرحله الإنهيار وهى

تأخذ أشكالاً مختلفة بناءً على طاقة كل شخص ويقول عنها يوسف عز الدين عيسى " إن أقصى العواصف هى تلك التى تجيش فى النفوس" .(فى الصورة كمال الشناوي و عباس فارس أثناء تسجيل عواصف، و أعلي الصورة المخرج محمد توفيق)

ومن خلال آلام البطلة "سهير" نستطيع أن نرى عواصف أخرى فى نفوس العديد من الشخصيات التى تحيط بها و يشير الدكتور يوسف إنه لابد من مواجهة هذه العواصف و الصراعات حتى تستطيع النفس أن تصل إلى السلام الداخلى. ورغم أن أعمال يوسف عز الدين عيسي خاليه تماما من "الميلودراما" إلا أن مسلسل "عواصف" كان مؤثراً للغاية حتى أن الدكتور يوسف قد اعترف أنه كان يجد نفسه أحياناً دامع العينين أثناء كتابتها. وتأتى المشاهد الحزينة بدون مبالغه على الإطلاق وربما يكون هذا هو سبب نجاحها وتأثر الناس بها وقد ذكر يوما ناقدا كبيرا (أ. صبيح) بأنه أُعجب بمشهد معين وأحب أن يسمعه مره أخرى فدعاه الدكتور يوسف إلى منزله ليستمعا إليه معاً علي جهاز التسجيل وقد استقبله الدكتور يوسف بحفاوته المعتادة وبعد أن تناولا الشاى جلسا ليستمعا إلى المشهد الذى طلب الناقد الإستماع إليه.

ويقول الناقد " لمعت الدموع في عينا يوسف عز الدين ثم قال لى : " يبدو أننى كنت قاسياً على سهير ... " ، وقد تأثر الناقد بهذا الكلام فكتب مقالا تحت عنوان **" *قسى على سهير ثم بكى من أجلها*"**

أما عن النص فى عواصف فهو لايزال يُدَرس حتى اليوم فى معهد التمثيل كمثال لأحسن نص وأدق حوار.

ومن الأشياء الطريفة التى يمكن ذكرها عن مسلسل عواصف والتى تشهد عن مدى تأثيره على الناس أن شخصاً اتصل بالدكتور يوسف بعد إذاعة الواحد وثلاثين حلقه قائلاً أنه يرغب فى أن يراه شخصياً ، فدعاه الدكتور يوسف إلى منزله . وعندما استقبل الضيف كان شاباً مرحاً وقال له : "لابد أن أذكر لك سبب زيارتى فلقد كنت مريضاً بنفس مرض البطلة فى عواصف ولكنى بعد أن سمعت الحلقات حتى نهايتها بكل هذا التحليل النفسى العميق تم شفائى ولم أعد أسمع هذه الأصوات التى كانت تطاردنى. أنا أعيش فى أسيوط ولقد جئت اليوم بالقطار خصيصاً لأراك وأشكرك على كتابة عواصف. فتأثر الدكتور يوسف وطلب منه البقاء لتناول العشاء ولكن

الضيف قال : "شكراً ، على أن ألحق بالقطار العائد إلى أسيوط " روتها السيدة سعاد عامر، حرم د. يوسف عز الدين عيسي في برنامج تليفزيوني "من ذاكرة الوطن"، القناة الخامسة، 29نوفمبر، 1999

كانت عواصف بطولة الفنان كمال الشناوى وإحسان القلعاوى التى لعبت دور سهير والفنان عباس فارس الذى لعب دور الأب ببراعة أما المخرج فكان الأستاذ الكبير محمد توفيق الذى قام أيضاً بإخراج أعمال أخرى كثيرة للدكتور يوسف فى أثناء فترة الخمسينيات.

وقد كان لعواصف تأثيراً كبيراً على الكُتاب فى شتى فروع الكتابة وقد ازداد التحليل النفسى شيوعا فى الكتابة العربية ولم تكن عواصف هى آخر الإبداعات الإذاعية للدكتور يوسف عز الدين عيسى فقد كتب بعدها أعمالا أخرى من روائع الإذاعة.

فى عام 1958 كتب الدكتور يوسف عز الدين عيسى " العسل المر " التى إعتبرها الجمهور والنقاد على السواء أعظم الأعمال الدرامية ، فقد كانت فكرتها جديدة وتُفهم على مستويات مختلفة ويستخدم فيها الرمز والخيال من خلال قصة حب جميله كما أن العنوان "العسل المر" أُعتِبر وحده عملاً إبداعياً، وكان يوسف عز الدين يهتم كثيراً بعناوين أعماله والعنوان نفسه عبارة عن تناقد الأضداد و هو رمزياً فالعسل يكون مراً لو عاش الإنسان فى جواً يتنافي مع الغريزة البشرية: مجتمعاً بديعاً و لكن تحيط به أسواراً من الأكاذيب.

وفى القصة يشير الدكتور يوسف إلى أن السعادة ليست فى إقتناء الأشياء الجميلة ولكن السعادة هى أن نحلم بتحقيق الأشياء الجميلة؛ فصراع الإنسان فى الحياة هو قمة السعادة لأن هذا الصراع هو جزء من غريزة الإنسان. ويعتقد يوسف عز الدين عيسي أنه لا ينبغى حماية الإنسان من معرفة الحقيقة أو البحث عنها فالإنسان يجد نفسه منجذباً تجاه هذا البحث، ولعاً بأن تكون له تجربته الشخصية وان حرمان الإنسان من البحث والكفاح معناه حرمانه من أحلامه وهذا هو أقسى ما فى الوجود.

إن القصة تشير إلى عملية غسيل لأذهان الناس تحت مسمى الحب. وهذا المسلسل الذى كُتب وأذيع عام 1958 قد تنبأ بسقوط الأنظمة ذات العراقيل والأسوار التى تحجب الحقيقة، فى وقت ما، وقد تنبأ أيضاً بأن هذا السقوط سيحدث نتيجة ثغره صغيره يكاد لا يراها أحد وقد حدث هذا الإنهيار بالفعل عندما سقط حائط برلين فى أوائل التسعينات، لقد كسر الناس الحائط الكبير وهرعوا مسرعين خارج هذا العالم المحدود بنفوس مليئة بالفضول - كما كانت "سوسن" فى العسل المر- سعداء بحريتهم فى اكتشاف عالم آخر لم يكونوا يرونه إلا فى الأحلام الممنوعة.

كان يوسف عز الدين عيسى بكتابته للعسل المر فى تلك الأيام جريئاً للغاية فقد كانت العسل المر باهرة النجاح وكان يمكن فهمها بمستويات مختلفة طبقاً للمستوى الثقافي للمُستَمِع، ويقول النجم السينمائى الأستاذ سمير صبرى الذى مثل دور "هشام" فى العسل المر، عندما تم تحويل المسلسل الإذاعى إلى تليفزيونى:

" إن الحوار ينساب بشاعريه وجمال ... إنها كانت أول تجربه لى فى التمثيل ولكن الناس يقولون لى أنه أجمل دور أديته ... و لايزال الناس حتى الآن ينادوني بهشام! " من برنامج أبيض وأسود القناة الثانية 1994 .

وقد قام ببطولة العسل المر فى الإذاعة 1958 الفنان الكبير كمال الشناوى فى دور هشام والفنان القديرة زوزو حمدى الحكيم التى لعبت دور الأم. أما عن دور سوسن فقد لعبته باقتدار الفنانة كريمه مختار وهى لها صوت من أعذب الأصوات، يُعبر تعبيراً جميلاً عن شخصية سوسن مثال البراءة والجمال وكان اختيارها عبقرياً من قِبل المخرج الكبير محمد توفيق الذى قام بإخراج العسل المر، وهو حاصل على دكتوراه فى الإخراج من انجلترا. وقد تأثر محمد توفيق بالعسل المر تأثيراً شديداً حتى إنه عندما تم اختيار المسلسل ليكون دراما تليفزيونية، طلب أن يلعب هو دور الأب وقد أدى دوره ببراعة.

ومن الطريف أن نعرف ظروف كتابة العسل المر وما الذى أوحى للدكتور يوسف بهذه الفكرة' ويقول هو *:" دعانى صديق كان يعيش وحده لزيارته وعندما دخلت منزله وجدت معطفا صغيرا لا يزيد طوله عن حوالى خمسين سنتيمتراً، معلقاً فى المدخل وكنت أعلم أن هذا الصديق لم يكن لديه زوجه وأطفال فسألته عن المعطف الصغير فقال لى: "إنه معطف إبنى. لقد استيقظت يوماً ففوجئت بأن زوجتى قد أخذت ابنى ورحلت ولكنها نسيت هذا المعطف الصغير .. كان عمره عاماً تقريباً ولم أره منذ ذلك الوقت ". فسألته :"كم مر من الوقت على هذا المعطف معلقاً هكذا ؟"*

" أكثر من خمس سنوات. لم يطاوعنى قلبى أبداً على إزاحته من هنا. "

وفى هذه اللحظة جاءت إلى فكره "العسل المر" ؛ جاءت إلى كاملة بكل تفاصيلها فكنت أكاد أرى المشاهد كاملة أمامى . رغم أنه ليس هناك علاقة مباشره بين الحادث والقصة ولكن الحادثة كانت كالشرار الذى يخرج من البندقية إذا ضغط أحد على الزناد ." دكتور يوسف عز الدين عيسى 1991 برنامج تليفزيونى "رواد" .

استمرت أعمال يوسف عز الدين الدرامية واحدة تتلو الأخرى ففى أثناء الخمسينات كتب أعمالاً أخرى غير المسلسلات، فكان عملا واحد غير مسلسل يذاع

فى المساء، وقد كتب العديد من هذا النوع مثل "أفراح الملائكة" ، "التمثال" ، "نحن والأقدار" التى تحولت إلى فيلماً سينمائياً فيما بعد بعنوان "صوت من الماضى" 1957، وقد قام بإخراج "صوت من الماضى" المخرج الكبير الأستاذ عاطف سالم وكان الفيلم بطولة النجم السينمائى أحمد رمزى والنجمة إيمان. وقد وصف النقاد الفيلم قائلين "أن البطل الحقيقى هو القصة"، التى أختيرت هذا العام كأحسن قصة لفيلم سينمائى مصري.

ويعد الفيلم من العلامات فى تاريخ السينما المصرية ، لكنه للأسف تم بيعه للدول العربية، فلم يعرض في التليفزيون المصري الا بعد دخول الفضائيات و هو الآن يحظى بمشاهدة كبيرة و وإعجاب شديد.
وقد اقتبس العديد من كُتاب السينما هذه القصة وحولوها إلى أفلام سينمائيه تحت عناوين أخرى ولكن للأسف لم يذكر أحد منهم أن القصة كانت مأخوذة من فيلم "صوت من الماضى" التي كتبها الدكتور يوسف عز الدين عيسى عام 1957 . وهذا فى الواقع وإن كان مؤلماً إلا أنه يُعَبِر عن مدى تأثير أعمال الدكتور يوسف عز الدين على غيره من الكتاب الذين تعاملوا مع القصة وكأنها تراثاً خصباً لا ينضب أبداً.

د. يوسف عز الدين عيسى مع أحمد رمزى و ايمان و أ. عاطف سالم صورة مع فريق العمل، يوم امضاء عقد الفيلم مع فريق العمل. اقصى الشمال زوجة د. يوسف عز الدين عيسى

أنواع أخرى من الدراما الإذاعية، "بدون عنوان"

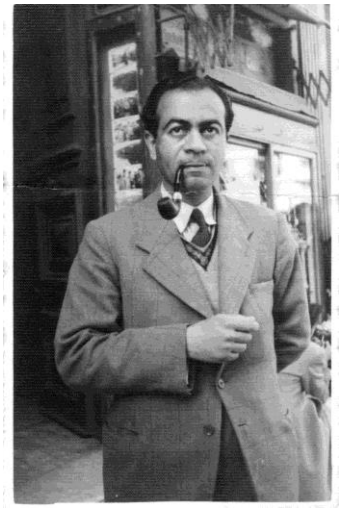

فى أثناء الخمسينيات أيضاً كتب دكتور يوسف عز الدين عيسى مجموعه من السهرات التمثيلية من جزء واحد والتى أخذت شكل برنامج بإسم "بدون عنوان". وكانت فكرة البرنامج جديدة تماماً فكان فى ذاك الوقت خمس مخرجون للإذاعة وهم الأساتذة "محمد توفيق" ، "أحمد كامل مرسى" ، "يوسف حطاب" ، "محمود السباع" و "صلاح الدين" وكان كل هؤلاء يرغبون فى إخراج أعملاً للدكتور يوسف. وبناءً على ذلك اقترح رئيس الإذاعه على يوسف عز الدين عيسى أن يكتب دراما من جزء واحد مره كل شهر ويتكون كل جزء من خمسة فصول حتى يستطيع الخمس مخرجون الإشتراك فى عمل واحد فيخرج كل منهم فصلاً من الفصول لتمثيلية واحده و يتكرر الموضوع كل شهر. وقد رحب المخرجون بهذه الفكرة التى اعتبروها مباراة بينهم وكان كل منهم يبذل أقصى طاقته الإبداعية فى الجزء الذى سيقوم بإخراجه. وقد اقترح الدكتور يوسف أن تكون هذه التمثيليات بدون عنوان حتى يتسنى للمستمع أن يشارك بإقتراح وإرسال عنوان للإذاعة يراه مناسباً للقصة ، وفى الشهر الذي يليه عند بداية التمثيلية الجديدة يذاع إسم الفائز بأجمل عنوان ثم تبدأ بعدها قصة جديدة بدون عنوان. وكان هذا البرنامج "بدون عنوان" تجربة غير مسبوقة فكان شكلاً جديداً من أشكال الدراما حيث يصبح المستمع جزءاً من العمل وذلك بإختياره عنواناً له، وقد لقى هذا البرنامج نجاحاً كبيراً على مستوى مصر والدول العربية وكان يصل الدكتور يوسف عز الدين عيسى خطابات من الدول الختلفة، ومن الطريف أنه فى إحدى المرات بعد إذاعة تمثيلية إختار لها المستمعون عنواناً باسم "شمعه تحترق"، وهى تحكى عن قصة " ليلى" التى تمر بظروف مؤثره للغايه وتنتهى نهاية حزينة، وصل للدكتور يوسف خطاباً من إحدى الدول العربية يقول فيه الراسل له *:"كيف تفعل هذا بليلى ياقاسى القلب يامتحجر الفؤاد ؟ إننى على استعداد للزواج منها فوراً !" .*

ومن أجمل الأشياء فى تمثيليات "بدون عنوان" هو الإسلوب الذى صاغها فيه دكتور يوسف عز الدين عيسى، فكان عند بداية البرنامج يظهر صوت المخرجون الخمس يتحدثون عن العمل بشكل يبدو تلقائياً، وكأنهم يفكرون بشكل مباشر في عمل التمثيلية فيقول مثلاً أحدهم للآخر *:"لقد كتب الدكتور يوسف هذه الليلة حلقة صعبه جداً! من يا ترى سيبدأ باخراج بالفصل الأول؟"*
- "إبدأها أنت يا "حطاب" ثم يستكمل "مرسى" الفصل التالى ولكن إياكم أن تتركونى فى موقف صعب! "

- "لا أعلم يا صلاح. إن البدايه تبدو صعبه. دعنى أرى ما فى استطاعتى تنفيذه وليساعدنى الله!"
و يبدأ الفصل الأول لمدة حوالى عشرة دقائق ثم يظهر صوت المخرجون مره أخرى فى حديث عفوى فيقول أحدهم للآخر على سبيل المثال *:"بحق السماء ماذا أفعل يامرسى؟! بالله عليك كيف سأخرج من هذا المأزق الذى وضعتنى فيه !"*
- "لاأعلم ربما يستطيع "توفيق" أن يفعل شيئاً".
- "هذا ليس عدلاً ! تخلقون الكوارث ثم تقولون تصرف يا توفيق ! استعنا على الشقاء بالله!" .

ثم يبدأ الفصل الثانى ويتوقف المخرجون بتعليقاتهم بعد كل فصل وكأنهم يتعاركون متظاهرين بأنهم لا يعلمون شيئاً عن الجزء التالى. وأحياناً كان يظهر معهم صوت الدكتور يوسف فى الحديث متظاهراً بأنه يكتب الأحداث فى الحال. وهذه الحوارات العفوية التى كانت تدور بين المخرجين كان فى الواقع يكتبها الدكتور يوسف بحذافيرها وكل تفاصيلها كجزء من الحلقة ولكنه يجعلها تبدو وكأن المخرجون لا يعلمون من منهم سيخرج الفصل التالى وبذلك فهو أضفى على العمل خفة ظل شديدة كما جعل المخرجون يبدون وكأنهم هم الذين يكتبون الأحداث التى كتبها هو .

وقد أعطى برنامج "بدون عنوان" فرصه للتفاعل مع الجمهور وفرصه أيضاً للمخرجين في التمثيل أثناء الحوار، كما أتاح برنامج "بدون عنوان" لكل مخرجى الإذاعة أن يقوموا بعملاً جماعياً معاً فالجميع يشتركون فى إخراج قصه واحده وتتكرر التجربة مره كل شهر، ومن ضمن العناوين التى اختارها الجمهور لتمثيليات "بدون عنوان" كانت "دعاء" ، "أنباء هامه" ، "شمعه تحترق" ، "قمة السعادة" ، "شريعة الغاب" ، "الرجل الواحد" ... إلخ . وكانت الإذاعة تستقبل أعداداً كبيراً جداً من الخطابات من مصر و الخارج. كان برنامج "بدون عنوان" من أجمل الأعمال التى أذيعت فى هذه الفترة.

وفى عام 1960، تحت إلحاح من الإذاعة، كتب يوسف عز الدين عيسى أطول مسلسل عربى وهو "اليوم المفقود" الذى استمرت إذاعته يومياً لمدة ثلاثة أشهر وهى لم تكن أطول مسلسلاته فحسب بل أطول مسلسل درامى على مستوى مصر والشرق الأوسط .

و"اليوم المفقود" دراما اجتماعية سيكولوجية تاريخية تتخلل أحداثها الحرب العالمية الثانية وهى تعكس المآسى التى تُحدثها الحروب وتُصور الحياة فى مصر أثناء الحرب العالمية والفترة التى تلتها وكلمة اليوم المفقود هى فى رأى يوسف عز الدين المقصود بها اليوم الذى يعم فيه السلام عندما تتوقف الحروب فى العالم بشكل قاطع وهو أيضاً يوم السلام الداخلى عندما يتصالح ويتسامى البشر. ولم يكن اليوم المفقود هو آخر أعماله الإذاعية.

الدراما التليفزيونيه

الثامن للشباب
● يستغرق نقل مكتبة حقوق عين شمس الى المبنى الجديد للكلية شهرا كاملا .. تعتبر هذه المكتبة من اضخم المكتبات فى جامعاتنا .
وحضرته مندوبات من ٥٢ دولة بمناسبة الصيف .! قال المسئولون عن هذا المؤتمر ان مستوى الجمال فيه كان اعلى من مستوى الجمال فى انتخابات ملكة جمال العالم !
المفتوح » قصة الدكتورة ستظهر فى فيلم سينمائى لولاية لبطولة القصة !
فايزة احمد
يوسف عز الدين
● فايزة احمد عادت امس من دمشق .. امضت فايزة مع زوجها مختار العابد مدة اسبوع هناك
● عثرت سفارة ليبريا على مقر لها
● الدكتور يوسف عز الدين ، انتهى من كتابة تمثيليته التليفزيونية « الرجل الذى باع رأسه » .. سيقوم محمود السباع باخراجها فى نهاية هذا

فى عام 1961 سافر الدكتور يوسف عز الدين عيسي، الأستاذ الجامعى بكلية العلوم ليكون أستاذاً زائراً فى الولايات المتحدة لمدة عام وقد أختارته لهذا المنصب منظمة "فولبرايت" من بين ثلاثمائة أستاذ وذلك لجمعه بين العلم والأدب على أعلى مستوياتهم. وقد أذيع مسلسل "اليوم المفقود" أثناء سفره ولكنها مسجله على شرائط . وبعد عودة الدكتور إلى مصر قرر أن يتوقف عن الكتابة للإذاعة ، فلم يكن يعجبه أسلوب العقود الإذاعية التى كانت تشترط شراء كل حقوق المؤلف فيفقد حقه فى إستخدام أعماله فى أى شكل آخر من الكتابة. بالإضافة إلى ذلك كان يريد أن يبدأ فى كتابة أعماله بشكل مقروء فى صورة كُتب وقد رأى أن الكتابة للإذاعة تستهلك كل ما لديه من وقت فتحرمه من كتابة أعماله فى صورة رواية أو قصة أو للمسرح . كان يشعر أن الإذاعه قد استولت على عقله أو أنه يبيع رأسه للإذاعة رغماً عنه، وهنا بدأ فى كتابة أول رواياته "الرجل الذى باع رأسه" عام 1960 وكان ذلك قبل زيارته للولايات المتحدة ولكن كتابة الدراما ظلت تلاحقه فقد حدث شيئاً جديداً فى عام 1960 وهو دخول التليفزيون في مصر، وهنا جاء إلى يوسف عز الدين مخرجاً تليفزيونياً متحمساً للعمل للتليفزيون وكان فى نفس الوقت يعشق أعمال يوسف عز الدين فطلب منه رجاءاً شخصياً وهو أن يشجع هذا الجهاز الحديث المسمى بالتليفزيون بالكتابة له. فما كان من يوسف عز الدين عيسى إلا أن تصرف بحفاوته المعتادة فلم يرد للرجل رجاءاً وأعطاه قصة "الرجل الذى باع رأسه" بعد أن حولها من رواية إلى سبع حلقات للدراما التلفزيونية وكان هذا العمل هو أول دراما تليفزيونيه فى مصر والشرق الأوسط .

وبعد ذلك أُختيرت أعمالاً إذاعيه للدكتور يوسف عز الدين عيسى لتكون من أوائل المسلسلات التليفزيونية مثل "عدو البشر" و "عواصف" و "العسل المر" وقد أخرجها أساتذة كبار، فكانت "عدو البشر" من إخراج الأستاذ نور الدمرداش و "العسل المر" 1962من إخراج الأستاذ عبد المنعم شكرى و"عواصف"1963 من إخراج الأستاذ إبراهيم الشقنقيرى وقد كان لهذه الأعمال جماهيريه شديدة ونجاحاً لا نظير له وهى لاتزال تذاع حتى الآن على القنوات الفضائية والمصرية ضمن كلاسيكيات التليفزيون .

وقد لعب دور الشخصيات فى "عواصف" الفنانة الجميلة "ليلى طاهر" والفنان "يوسف شعبان" أما البطلة المريضة نفسياً فقد أدت دورها ببراعة الأستاذة "سهير

البابلى" وقام بدور الأب الفنان القدير "حسين رياض" وهو يعد من أجمل أدواره على الشاشة ، كما اشترك فى التمثيل الفنان القدير "حسن كامل" الذى قام بدور الطبيب النفسى والفنان "رشوان توفيق" الذى كان مدرس الموسيقى . وقد قالت الفنانة "ليلى طاهر" عن دورها فى **عواصف** *:"كنت أتمنى أن ألعب أدواراً أكثر للأديب الدكتور يوسف عز الدين عيسى"* حفل تكريم دكتور يوسف عز الدين عيسى 1 نوفمبر 2000 قناة ART .

أما "العسل المر" فقد أخرجت للتليفزيون بعد"عواصف" مباشرتاً، وقد كان نجاحها باهراً ، فقد أراد المخرج أن يختار وجهاً جديداً للبطلة "سوسن" التى كان من المفترض في القصة أنها لم ترى رجلاً فى حياتها، فأعطى الدور للوجه الجديد الفنانة "شمس البارودى" ذات الوجه البرئ الذى له جمال من نوع خاص ولأنها وجها جديدا لم يراه احد من قبل فقد أقنع ذلك المشاهد بأنها فتاه لم تكن قد رأت رجلاً من قبل . ولقد أصبحت شمس البارودى بعد ذلك من ألمع نجمات السينما المصرية ولكن دورها فى العسل المر هو أشهر أدوارها فى تاريخها الفنى على الإطلاق .
أما عن دور "هشام" الذى قام به الفنان "سمير صبرى" فهو أيضاً أول أدواره فلقد كان مذيعاً بالإذاعة فى ذاك الوقت وجاء إختياره كوجه جديد أيضاً ليقنع الجمهور بأنه أول رجل يدخل عالم سوسن المثالى. ويقول "سمير صبري" عن دوره فى العسل المر:" *أنه أجمل أدوارى وأعتقد أن السبب فى ذلك يكمن فى جمال الحوار الذى كتبه الدكتور يوسف و الذى جعل دورى خالداً* ! " سمير صبري فى برنامج أبيض وأسود 1993 .

و لعبت الفنانة القديرة زوزو شكيب دور الأم.

ولقد تم بعد ذلك انتاج أعمال أخرى للدكتور يوسف فى التليفزيون من الأصل الإذاعى أو من أعمال مكتوبة مثل قصة "نور الشفق" ومسرحية "غرفه بلا نوافذ"و غيرهم.

العودة الي الإذاعة

رغم أن الدكتور يوسف عز الدين عيسى كان قد توقف بالفعل عن كتابة الدراما الإذاعية وكان قد بدأ فى كتابة أعماله المنشورة، إلا أن إذاعة القاهرة كانت تطلب منه كتابة بعض البرامج والتى تعد ضمن إسهاماته فى الحركة الثقافية ككاتب له دور في التحديث و التثقيف الإجتماعى.
كتب برنامجاً أسبوعياً يبسط فيه الحقائق العلمية بإسم "العلم والحياه" فى بداية السبعينيات، و رغم أن كل أعمال د. يوسف عز الدين عيسي كانت لإذاعة البرنامج العام في القاهرة، إلا أنه قد ساعد فى تشجيع المحطة الإذاعية فى الاسكندرية بناء علي رغبتهم، فكتب بعض الأعمال الغير مسلسلة تحت عنوان "صور من الحياة" وفيها قدم نماذج كثيرة عن اللا وعى الإنسانى والتصرفات العفوية الكريهة،التى

صاغها بشكل ساخر . و لكن يبقى ارتباط اسم د. يوسف عز الدين عيسى بإذاعة "البرنامج العام" التى أذاعت له كل أعماله تقريبا. وقد كتب في السبعينات أيضاً للبرنامج العام تلبية لرغبة الأستاذ الكبير "السيد بدير" مجموعه كبيره من الحلقات المنفردة تحت عنوان "ما يعجبنيش" ينتقد فيه المجتمع وسلوكياته بشكل مؤثر وأحياناً كوميدى . وفى العيد الذهبى للإذاعة المصرية طلب منه الأستاذ السيد بدير كتابة عملاً إذاعياً يذاع فى هذه المناسبة فكتب مسرحية "الجائزه". و من الجدير بالذكر أن يوسف عز الدين عيسي قد مُنح وسام اليوبل الذهبي للإذاعة في عيدها و وسام اليوبل الفضى للتليفزيون في عيده.

الدراما الإذاعيه مره أخرى

فى عام 1972 كان يوسف عز الدين قد بدأ كتابة روايته "لا تلوموا الخريف" عندما طلب منه المخرج الكبير الأستاذ "محمود شركس" عملاً للإذاعة لأنه كان يتمنى اخراج مسلسلاً يكتبه الدكتور يوسف عز الدين عيسي، فلبى الدكتور يوسف طلبه وأعطاه "لا تلوموا الخريف" مكتوبة فى واحد وثلاثون حلقه. وقد نجحت نجاحاً ساحقا، و هى أول عمل إذاعى يحظى بهذه الشعبية الباهرة رغم وجود التليفزيون بكل جاذبيته في فترة السبعينيات ولكن المسلسل لاقى إعجاباً شديداً من الجمهور الذى تابع الواحد وثلاثون حلقه بشغف شديد. و قد كتب عنها الدكتور إسماعيل الشيخة في رسالة دكتوراه كعمل فريد كُتب للإذاعة، *2003/10/1 – جامعة الإسكندرية*

فى 1974 حصل الدكتور يوسف عز الدين عيسى على جائزة الدولة التشجيعية على أعماله الدرامية وهو المؤلف الوحيد الذى مُنح جائزة الدولة فى الأدب على الأعمال الإذاعية، ومن الجدير بالذكر أن يوسف عز الدين عيسى قد حصل عام 1986 على جائزة الدولة التقديرية فى الأدب على أعماله المقروءة وكانت كتابته فى الصورة المقروءة سواء كانت رواية أو قصة قصيرة أو مسرح أعمالا خالدة، كسر الكثير من القواعد الجامدة فى الأدب، فقد ابتكر مدرسه جديدة فى الكتابة والتى شملت السريالية والرمزية والقدرة الفائقة على الخيال. وربما يكون من القلائل الذين استطاعوا تجريد أمور الحياة إلى أقصى درجات التجريد ***(راجع "السيرة الذاتية"، "أعماله"، "ما وراء الأفكار")*** وكان هذا يمثل تحدياً كبيراً وقد هاجمه الكثير من النقاد النمطيين الذين لم يستطيعوا فهم ما يكتب و أو بعض الذين فهموا أعمالة و تظاهروا بعدم فهمها لمصلحة كُتاب آخرين كان يرون في هذه الموهبة تهديدا لهم. لقد استطاع النقاد فقط إعطاء يوسف عز الدين عيسى حقه بعد حصول الكاتب ماركيز على جائزة نوبل الذى أخذها لمزجه بين الواقع والخيال بشكل أسطورى، و كان "*يوسف عز الدين عيسي قد كتب هذا اللون من قبل "مركيز بثلاثين عاماً*" سعيد سالم، برنامج رواد، 1992 . كما كان لظهور أعمال كافكا فى مصر فى السبعينيات و التى كان ممنوع دخولها البلاد من قبل، الأثر الكبير في إدراك قيمة كتابات يوسف عز الدين عيسى رغم إختلاف منهج الكاتبين، فقد أكدت شعبية كافكا العالمية علي

عبقرية "الخيال" الذى لم يكن مفهوما فهما جيدا في مصر و العالم العربي من قبل بل كان يُنظر اليه كنوع من انواع الخرافات.

أما فى الدراما الإذاعية فقد كان *يوسف عز الدين عيسي* حقاً رائداً كبيراً لكتاباته بهذا الإسلوب لجهاز "الراديو" الذى هابه معظم الكتاب، وهو يعلم أن تقييمه سيأخذ وقته. لقد كان صادقاً ومخلصاً فى كتاباته و هو لم يكتب أبدا إلا ما كان يشعر به ولم يستطع أن يكون إلا نفسه. ان هذا الصدق هو حقا الورقة الرابحة، فالكتابة والموهبة الحقيقية تحتاج إلى الثقة الشديدة هى التى يملكها و يعبر عنها الصفوة من المبدعين، و هى اللون الذى كتبه الدكتور يوسف عز الدين عيسى. " تأتي الأفكار إلي كما تأتي الدموع، علي أن أكتبها لأستريح .. إن الأفكار تتفجر بنفسها فلا أستطيع إيقافها، فتنساب بتلقائية من خلالي، تماما كالبكاء." *يوسف عز الدين عيسي، مجلة الإذاعة و التليفزيون، 1996/4/20*